

ويفسّر لغة الأشياء حيث قرأ النجوم وفسّر حركتها، وتفاعل مع حمحمة الفرس وتعبيره (من العبرة، بفتح العين)، وهذا تقليد عربي عريق ابتدأ مع بداية المعهود من موروثنا، ولم يزل فاعلاً مستمراً حيث تتكلم الأرض بالعربية، وحيث تتكلم الحصاة الرقطاء، كما تروي عجائزنا في القرى والأرياف وذلك حينما كان كل شيء يحكي⁽⁴⁴⁾. وهذه جملة ترددها العجائز اليوم مثلما كان الأعراب يقولونها في عهودهم القديمة أيام كانت الأشياء تتكلم.

إذن هناك لغة وهناك منطق. وليست المشكلة في (وجود) هذه اللغة وحدوثها. ولكن المشكلة في إدراكنا لها وفي مقدرتنا على قراءتها. وهذا الإدراك وهذه المقدرة لا يحدثان إلا بموهبة تستطيع القفز على حدود الاصطلاح القاطع، أو بمعجزة ربانية مثل هبة الله لسليمان ولأبيه داود حيث أعطاهما الله علماً نورانياً من عنده تعالى وفضلهما في ذلك على كثير من العالمين. ومن هذا العلم معرفة سليمان لمنطق الطير والنمل. وهي لغة تختلف عن لغة البشر وتفترق عنها، وابن كثير يقول بخطأ من زعم أن لغة الطير والحيوان مثل لغة البشر، ولو أنها كانت كذلك لما صار لسليمان ميزة أو فضل على غيره، (ولكن الله سبحانه كان قد أفهم سليمان ما يتخاطب به الطيور في الهواء وما تنطق به الحيوانات على اختلاف أصنافها)⁽⁴⁵⁾. ومن هذا الفهم كان سماعه لكلام النملة تحذر قبيلتها من جيش سليمان، ويقول ابن كثير أن هذه النملة لها اسم ولها قبيلة واسمها (حرس من قبيلة يقال لهم بنو الشيصان، وأنها كانت عرجاء)⁽⁴⁶⁾.

أما داود فلم يكن يفهم عن الطير ولكن الطير كانت تفهم عنه